مسائل نافع بن الأزرق في ميدان التفسير

الدكتور
أحمد حمد سليمان الصقعبي
الأستاذ المساعد بقسم التفسير والحديث
كلية الشريعة – جامعة الكويت

المقدمة

فإذا كان النبي ﷺ أول شارح على الإطلاق للقرآن الكريم ، فإن ابن عباس أول من فتح الباب على مصراعيه فيما يسمى " **بالتفسير اللغوي** " .

ولا أعنى به ذلك الاستغلال السيئ للغة بهدف تحقيق مآرب ذاتية ، أو تطويعها قسراً لتتوافق مع خلفيات عقدية سابقة .

وإنما أعنى ذلك الرصيد المعجمي العربي ، وتلك الغزارة في المعارف اللغوية التي يمكن أن تشكل منفذاً أساسياً للوصول إلى تحقيق دلالات دقيقة قد تسهم في كشف الغموض الذي يكتنف بعض المفردات القرآنية .

ويعد أوعب ما نقل عن ابن عباس في هذا الصدد أعني - تفسير غريب القرآن – هو ما يسميه علماء الدراسات القرآنية بـ " **بمسائل نافع بن الأزرق** " - ، والتي أبرز فيها ابن عباس تفوقه ، ونبوغه ، وأثبت علاقة متأصلة بين القرآن واللغة والأدب العربي .

وحيث أن هذه المسائل لم تحظ عند عدد من الدارسين بكثير من الاهتمام ، في حين اكتفى البعض بوصفها وصفاً عاماً على أنها من إبداعات ابن عباس ، واقتصر الآخر في ترديد ما أورده السيوطي مع بعض الترتيب .

ولعل أبرز دراسة متأنية هي دراسة الدكتورة " **بنت الشاطئ** " في كتابها الإعجاز القرآني إلا أنها ركزت على حصر اشتقاقات تلك المفردات في القرآن الكريم .

ثم بدأ لي بعد ذلك أن أقدم بحثاً عن هذه المسائل بهدف الوصول إلى الأغراض الآتية : -

أ - تعريف القارئ والباحث أهمية مسائل نافع في الدراسات القرآنية.

ب- الإسهام في الكشف عما يمكن أن يستنبط من خلال المحاورة التي كانت بين نافع وابن عباس .

جـ - بيان ثبوت مسائل نافع بن الأزرق من عدمه من الناحية العلمية .

د - بيان منهجية المفسرين في الاستفادة والتعامل مع هذه المسائل .

وتحقيقاً لهذه الأغراض قمت بتقسيمه على النحو الآتي : ـ

- المقدمة : أبين فيها أهمية الموضوع .
- المبحث الأول : ابن عباس ومسائل نافع بن الأزرق .
- المبحث الثاني : ثبوت مسائل نافع بن الأزرق من عدمه .
- المبحث الثالث : موقف بعض المفسرين من مسائل نافع بن الأزرق ، وأسلوب تعاطيهم معها .
- الخاتمة : وفيها استخلاص أهم النتائج .

الملخص

يهدف هذا البحث إلى تسليط مزيد من الضوء على قضية من أبرز قضايا اللغة في القرآن ألا وهي " غريب القرآن " أو التفسير اللغوي للقرآن ، ولذا جاءت هذه الدراسة لتتناول الحديث عن أطول رواية استوعبت أغلب ما روى عن ابن عباس في هذا الباب ألا وهي " **مسائل نافع بن الأزرق** " .

وتقريباً لهذه الدراسة ، قمت بتقسيمه على النحو التالي :-

- **المقدمة** : وفيها بيان أغراض البحث وغايته .
- **المبحث الأول** : وفيه بيان المنهجية العلمية التي انطوت عليه هذه المسائل.
- **المبحث الثاني** : وفيه بيان ثبوت هذه المسائل من عدمه .
- **المبحث الثالث** : وفيه بيان حجم الاستعانة بهذه المسائل في كتب التفسير ، ومنهجهم في التعامل معها .
- **الخاتمة** : استخلاص أهم النتائج .

المبحث الأول : ابن عباس ومسائل نافع بن الأزرق

برز " ابن عباس وتفوق في ميادين كثيرة تكفي في كل واحد منها أن يكون فيها علماً مستقلاً بذاته ، لكن ما لفت أنظار العلماء بشدة هو عنايته – رضي الله عنه– لما يسمى بغريب القرآن [١] وقد تبوأ في ذلك مكاناً نال به شهرة فائقة حتى اعتبره أحد الدارسين يؤدي ما تؤديه المعجمات للسائلين ، وصنيعه ، صنيع معجمي ... [٢] ولذا رأينا تفاعلاً قوياً عنده بين المفردات القرآنية الغريبة ، والشواهد الشعرية على نحو من الاستيعاب والغزارة والدقة تضع الركيزة الأولى، واللبنة الهمة في تيسير المهمة لكل من جاء بعده من المفسرين المعنيين بهذا اللون من الفن وهو ما يسمى " بغريب القرآن " .

وبرهاناً لهذه العلاقة المتأصلة بين المفردة القرآنية والنص الشعري في ذهن ابن عباس ، فقد روي عند المهتمين بهذه الظاهرة ما يسمى بمسائل نافع بن الأزرق، وهي قصة طريفة تحكي وتلخص هذا التفاعل الذي كان يختزنه ذهن ابن عباس .

فقد جاء أن نافع بن الأزرق – أحد زعماء الخوارج – ونجدة بن عويمر وردا على ابن عباس وهو جالس بفناء الكعبة فقالا له : إنا نريد أن نسألك عن أشياء من كتاب الله فتفسرها لنا ، وتأتينا بمصادقة ذلك من كلام

---

(١) الغريب من ألفاظ القرآن هو ما شق على المرء إدراك معناه بمجرد سماعه ، أو هو الغامض البعيد الذي لا يستطيع الإنسان فهمه إلا بعد فكر وجهد (غريب القرآن رجاله ومنهاجهم د. عبد الحميد طلب صـ ٢٦) ويرجع ابن الأثير في مقدمته بدايات نشوء الغريب إلى الفتوحات التي نتج عنها امتزاج الألسن وتداخل اللغات .

(٢) انظر مقدمة الصحاح ومدارس المعجمات العربية لأحمد عطار صـ(٤٤).

العرب ، فإن الله تعالى إنما أنزل القرآن بلسان عربي مبين ، فقال ابن عباس : سلاني عما بدا لكما .

فقال نافع أخبرني عن قول الله تعالى " عن اليمين وعن الشمال عزين " [١] قال العزون حلق الرفاق .

قال وهل تعرف العرب ذلك ؟ قال نعم أما سمعت عبيد بن الأبرص وهو يقول :

فجاؤوا يهرعون إليه ❁❁ يكونوا حول منبره عزينا

قال أخبرني عن قوله " وابتغوا إليه الوسيلة " [٢] قال الوسيلة الحاجة.

قال وهل تعرف العرب ذلك؟ قال نعم أما سمعت عنترة وهو يقول:

إن الرجال لهم إليك وسيلة ❁❁ إن يأخذوك تكحلي وتخضبي

ويستمر الحوار بينهما بهذه الصفة ، وهذا الثراء اللغوي الذي استمد قوته من الاستشهاد الشعري حتى بلغ بها إلى مئة واثنين وتسعين سؤالاً وبيتاً يقول السيوطي [٣] بأنه حذف منها بضعة عشر سؤالاً وهو ما يدلل على أن الأسئلة والأجوبة تجاوزت المائتين .

إنها بحق مدرسة الفكر العباسي – نسبة لابن عباس – في تأسيس دعامة هذا اللون من الفن القرآني الشعري والمساهمة في نشره وقبوله .

---

(١) سورة المعارج آية (٣٧) .

(٢) سورة المائدة آية (٣٥) .

(٣) انظر : الإتقان في علوم القرآن (٢/ ٣٤٧) فما بعدها .

ولعلي أقف على أهم سمات منهج ابن عباس في تعامله مع الشعر العربي في إطار مسائل نافع بن الأزرق عن الغريب من المفردات .

١- أن ابن عباس - رضي الله عنه - عني بشرح غريب المفردات القرآنية بالنصوص الشعرية دون التعرض إلى الأساليب أو التراكيب القرآنية ، ولعل ذلك يعود إلى الاهتمام اللغوي المجرد بالمفردة القرآنية ، ولأن المقام لا يتسع لغير ذلك، وذلك أن نافع ابن الأزرق كان يركز في مسائله على مفردات بذاتها فلا يتصور إلا أن تكون الإجابة موائمة ومطابقة للسؤال .

٢- مثلما استشهد ابن عباس بشعر الجاهليين من أمثال طرفة بن العبد ، وعنترة، وأمية بن أبي الصلت، وامرئ القيس، وهذيلة بنت بكر، وزهير بن أبي سلمى، والنابغة الذبياني وغيرهم في تفسير غريب القرآن، فقد استشهد بالمقابل بشعر الإسلاميين، والذي أكثر فيه بوضوح النقل عن حسان بن ثابت حين سأله نافع بن الأزرق عن معنى قوله تعالى "**ثقفتموهم**"[١] قال ابن عباس وجدتموهم ، أما سمعت قول حسان :

فأمَّا تثقفن بني لؤيٍّ ... جُذيمة إنَّ قتلهُمُ دواءُ [٢]

وسأله أيضاً عن قوله تعالى " **حسباناً من السماء** " [٣] قال ابن عباس : نارٌ من السماء ، أما سمعت قول حسّان :

بَقيَّةُ مَعشَرٍ صُبَّت عليهم ... سَآبيبٌ من الحُسبانِ شُهُب [٤]

---

(١) سورة البقرة آية (١٩١) .

(٢) الإتقان في علوم القرآن (٢/ ٣٦٣) .

(٣) سورة الكهف آية (٤٠) .

(٤) المصدر السابق (٢/ ٣٦٧) .

وسأله أيضاً عن معنى قوله تعالى " فأثرن به نقعاً " [١] ... وهكذا .

إلا أن ابن عباس أكثر الرجوع في شواهده الشعرية إلى الشعر العربي القديم ، بينما كان مقلاً إلى حدٍ ما في الرجوع إلى الشعر في العصر الإسلامي وإن كان هو الآخر قد أكثر النقل عنه .

وأحياناً كان ابن عباس يتبع تفسير المفردة الغريبة بذكر اسم القبيلة التي عرف عنها استعمال هذه الكلمة ، ومثاله حينما سأله ابن الأزرق عن قوله تعالى " وكنتم قوماً بوراً " [٢] قال هلكى ، بلغة عمان .

وسأله أيضاً عن قوله تعالى لله أن لن يحور " [٣] قال أن لن يرجع ، بلغة الحبشة . [٤]

ثم يسوق ابن عباس مصداق ذلك من الشعر العربي وهو ما يؤكد إلمام ابن عباس بلغات العرب .

٣- أن المفردات الغريبة التي كان نافع يسأل عنها ابن عباس متفاوتة من حيث الصيغة والمادة في القرآن الكريم ، فقد تكون الكلمة وحيدة الصيغة والمادة، بمعنى أنه لم يأت في القرآن الكريم على صيغتها ووزنها إلا موضع واحد مثل كلمة " زنيم " .

---

(١) سورة العاديات آية (٤) ، ونقل أيضاً عن عبد الله بن رواحة ، وحمزة ، وكعب بن مالك وغيرهم .

(٢) سورة الفتح آية (١٢) .

(٣) سورة الإنشقاق آية (١٤) .

(٤) المصدر السابق (٢/ ٣٥٥، ٣٦٥، ٣٧٠) .

قال تعالى " عتل بعد ذلك زنيم " [١]

ومثل " رمزاً " أي الوحي بالحاجب وفق تفسير ابن عباس فهي وحيدة في القرآن صيغة ومادة قال تعالى " لا تكلم الناس ثلاثة أيام إلا رمزاً " [٢] وقد تكون المفردة وحيدة الصيغة في القرآن دون المادة من مثل ، " خلاق " "قانتون" " مِرّة " المعصرات " وهكذا . [٣]

٤- قد يستعين ابن عباس بأبيات شعرية فيها هجاء لأحد الصحابة الكرام ، لأن غرضه تأكيد معنى المفردة القرآنية بالأبيات الشعرية بغض النظر عن السبب الذي من أجله سيقت هذه الأبيات ، ومثال ذلك لما سأل نافعٌ ابن عباس عن قوله تعالى " شواظٌ من نار" [٤] قال الشواظ اللهب الذي لا دخان له أما سمعت أمية بن أبي الصلت يهجو حسان بن ثابت :

يظل يشب كيراً بعد كير ⁂ وينفخ دائماً لهب الشّواظ [٥]

بل قد يستعين بأبيات فيها وصف الخمر ، وكل ذلك حتى يؤكد تلك العلاقة بين القرآن والشعر العربي .

---

(١) سورة القلم آية (١٣) .

(٢) سورة آل عمران آية (٤١) .

(٣) انظر : الإعجاز القرآني ومسائل نافع بن الأزرق – بنت الشاطئ صـ(٣٠٩) فما بعدها .

(٤) سورة الرحمن آية (٣٥) .

(٥) هكذا أورده صاحب الإتقان (٢/ ٣٥١) والذي في ديوان أمية هو " يمانياً يظل يشب كيراً " صـ(٢٢٤).

ومثاله حينما سأله نافعٌ عن معنى قوله تعالى " لا فيها غول " [١] قال ليس فيها نتن ولا كراهية كخمر الدنيا أما سمعت امرأ القيس وهو يقول :

رب كأس شربتُ لا غولَ فيها ❁ وسقيتُ النديم منها مزاجاً [٢]

٥- إن مفاجئة ابن عباس بهذا السيل المتدفق من الأسئلة دون سابق إعداد لا يمكن استيعابه أو تصوره دون اصطحاب تلك الدعوة النبوية التي لازمته طول حياته .

وقد استبعد بعض المعاصرين أن تكون أسئلة نافع وأجوبة ابن عباس قد حدثت في مجلس واحد . [٣]

لكني لا أوافقه الرأي لأنه لا يمكن أن نقيس قدراتنا العلمية المعاصرة بقدرات من سبق لما كانوا يتمتعون به من سعة الحفظ ، وسرعة البديهة وهي من الصفات التي تفوقوا بها على من جاء بعدهم فكيف إذا انضم إلى ذلك بركة دعاء النبي ﷺ .

٦- أثبت ابن عباس بجدارة وتمكن من خلال المحاورة ، أن هناك علاقة متجذرة بين المفردة القرآنية وبين الشعر العربي القديم ، وأنه لا انفصال أو انفكاك بينهما ، وبذلك دحض ابن عباس كل من يشكك في قيام هذه العلاقة أو نفي المرجعية الشعرية في ذلك .

قال الجطلاوي : فكأن نية السائل أن يعجز ابن عباس إيماناً بأن من غريب القرآن ما لا وجود له ولا استعمال في كلام العرب ، وكأن القرآن لا

---

(١) سورة الصافات آية (٤٧) .

(٢) الإتقان في علوم القرآن (٢/ ٣٥٢) .

(٣) انظر : كتاب خطوات التفسير القرآني د. محمد رجب البيومي صـ(٢٨-٢٩).

يغترف من العربية بل هو أوسع منها ، فيه ما ليس فيها مما هو دراج على الأقل . [١]

والذي يظهر لي أن رجوع ابن عباس إلى الشعر العربي هو اتجاه عام غير قاصر على مسائل نافع ابن الأزرق ، وهو ما يؤكده عطاء حينما قال سمعت ابن عباس إذا سئل عن عربية القرآن أنشد الشعر فقيل له ما زنيم ؟ فقال :

زنيم تداعاهُ الرجالُ زيادةً ﷺ كما زيد في عرض الأديم الأكارعُ [٢]

وهو ما يعني أن ابن عباس كان يستحضر الشعر في جميع المناسبات من أجل بيان معنى غريب في القرآن .

---

(١) قضايا اللغة في كتب التفسير صـ(١٢٣).

(٢) انظر مقدمتان في علوم القرآن صـ(١٩٨).

المبحث الثاني : ثبوت مسائل نافع بن الأزرق من عدمه

تفاوتت الروايات حول تحديد مسائل نافع بن الأزرق حيث اقتصرت بعض الروايات على ذكر ثلاثين مسألة تقريباً كما جاء في مجمع الزوائد [١] في حين وصل بها السيوطي إلى مائة واثنين وتسعين مسألة ، وذكر أنه حذف بضع عشر سؤالاً ، وهو ما يثير لدينا الشك إن كان ثمة زيادات أدخلها بعض الرواة على هذه المسائل استغلالاً لهذه الثغرة ، ولشهرة ابن عباس في ميدان الشعر وغريب القرآن.

وقد لاحظ الأستاذ محمد فؤاد عبد الباقي خلال دراسته لهذه المسائل ضمن " **معجم غريب القرآن** " نسبة عدد لا بأس به من الشواهد الشعرية إلى غير قائليها ، فما كان منه إلا أن يتعقبها بنفي العثور عليها فيقول : البيت لا يوجد في ديوان حسان مثلاً ، أو لم أقف عليه في ديوان فلان .... هكذا . [٢]

ناهيك عن بعض التفاوت الذي يلف الأبيات في ألفاظها وعباراتها كما أثبته فؤاد عبد الباقي الأمر الذي يؤكد لنا القلق من دقة نسبة بعض المسائل إلى ابن عباس .

ومن المعاصرين من عقد دراسة استنكر فيها سؤال نافع وهو من هو في علم اللغة لابن عباس عن معنى " **عذاب أليم** "، " **أطعموا البائس** "، " **اضربوا منهم كل بنان** " فإن مثل هذا ونحوه لا يعرض فهمه على مثل نافع .

---

(١) مجمع الزوائد للهيثمي (٦/ ٣٠٣) .

(٢) انظر : معجم غريب القرآن صـ (٢٦٢-٣٢٠) ، وقد ركز على إعادة ترتيب المسائل على حروف المعجم ، وتخريج ما وقف عليه من شواهد شعرية .

ثم كيف لابن عباس أن يستشهد بشعر ابن أبي ربيعة والحارث المخزومي وغيرهما ممن جاء بعد انتشار ألفاظ القرآن فلا يمكن أن يقنع نافع بشعرهم .[١]

وفيما يتعلق بصحة نسبتها إلى ابن عباس فإن الأقرب هو ثبوت أصلها ، وذلك لاتفاق المصادر القديمة على إيرادها وذكرها بأسانيد صحيحة أورد بعضها البخاري [٢] ضمن كتاب التفسير والحاكم في مستدركه [٣] وابن جرير في تفسيره وقد تلقاها المفسرون بالاستشهاد والاستدلال كالقرطبي وابن كثير وغيرهم ما يؤكد قبولها عندهم .

ولكن من خلال متابعتي لأسانيد نافع بن الأزرق في مختلف المصادر وأمهات المراجع انتهيت إلى النتائج التالية :

١- أن الأسانيد المروية عن ابن عباس في ذلك تتفاوت من حيث الصحة والضعف حيث أصحها على الإطلاق ما روي موصولاً عن ابن عباس من طريق علي بن أبي طلحة ، فقد قمت بتتبع هذه المسائل فتبين لي أن عدداً لا بأس به من هذه المسائل أخرجها البخاري معلقة ، ثم قام ابن حجر بعد ذلك بوصلها وهي متطابقة تماماً مع مسائل نافع ابن الأزرق التي توجه بها إلى ابن عباس ، لكن الملاحظ أن أغلبها كان يصلها ابن حجر من

---

(١) انظر : كتاب خطوات التفسير القرآني صـ(١٨).

(٢) أوردها البخاري معلقة كتاب التفسير – باب سورة الأعراف – تفسير قوله تعالى " وريشا " ، وانظر أيضاً باب سورة هود تفسير قوله تعالى " عصيب " ، وباب سورة الرعد تفسير قوله تعالى " أفلم ييأس " لكن أشار ابن حجر إلى وصلها في مصادر وأسانيد أخرى ، انظر : فتح الباري (٨/ ١٤٧) ، وصـ (١٩٩ ، ٢٢٤) .

(٣) مستدرك الحاكم (٢/ ٤٠٤) .

طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس ، وهي صحيفة مشهورة عند أصحاب الشأن بجودتها وسلامة إسنادها .

وهي الصحيفة التي قال في حقها الإمام أحمد : في مصر صحيفة لو رحل إليها رجل قاصداً إياها ما كان ذلك كثيراً . (١)

بل قد وصل ابن حجر بعضها وقال: وروى الطبري وعبد بن حميد بإسناد صحيح كلهم من رجال البخاري، وهو ما يؤكد لنا سلامة استدراكات الحاكم لبعض هذه المسائل بقوله : صحيح الإسناد ولم يخرجاه . (٢)

كما اتضح لي بعد إجراء عملية مقارنة بين ما ورد عن ابن عباس في صحيح البخاري من تفسير لغريب القرآن ، وبين ما ورد عنه في مسائل نافع بن الأزرق ، أن الفرق الوحيد بينهما لم يكن يعدو عن استشهاد ابن عباس لمسائل نافع بن الأزرق بالشعر العربي ، وهو المنهج الذي فرضه وأملاه عليه ابن الأزرق حينما طلب أن يأتيه بشاهد من الشعر ليوثق له الأجوبة من الأدب العربي .

٢- ومن الأسانيد الصحيحة لمسائل نافع بن الأزرق أيضاً ما رواه الطبري في تفسيره من طريق المنهال بن عمرو عن سعيد بن جبير قال : " أتى رجل ابن عباس ... " (٣) وهي ثلاث روايات متفاوتة حيث صرح في بعضها باسم السائل وهو نافع بن الأزرق ، وأهمل الاسم في الروايات الأخرى ، ولم

---

(١) الإتقان في علوم القرآن للسيوطي (٤/ ٤٩٦) .

(٢) انظر : فتح الباري (٨/ ٢٢٤) والمواضع التي أشرت إليها في المصدر قبل السابق أيضاً .

(٣) انظر : تفسير الطبري (٤/ ٩٦) .

تكن هذه الروايات بنفس السياق الذي أورده السيوطي في إتقانه وغيره، وقد حكم الشيخ أحمد شاكر بصحة أسانيد رواية الطبري . [١]

٣- أن أضعف ما ورد إلينا من مسائل نافع بن الأزرق هو ما كان من طريق جويبر عن الضحاك ، وهي مسائل أخرجها الطبراني في معجمه الكبير . [٢] وأوردها الهيثمي في معجمه متعقباً إياها بقوله " وفيه جويبر وهو متروك " . [٣]

وجويبر هذا هو ابن سعيد الأزدي أجمع علماء الجرح والتعديل على ضعفه بل قال عنه ابن حبان : يروي عن الضحاك أشياء مقلوبة . [٤]

من أجل ذلك نجد أن الطبري في تفسيره روى عن نافع بن الأزرق ابن عباس من طريق الزبير عن الضحاك . [٥]

وهناك رواية أيضاً لا تقل عن سابقتها في الضعف وهي رواية أبو بكر بن الأنباري من طريق محمد بن زياد اليشكري عن ميمون بن مهران قال : دخل نافع بن الأزرق المسجد .... وقد أوردها الحاكم في مستدركه [٦] ، وفيه محمد بن زياد اليشكري وهو ضعيف قال عنه الدارقطني وأحمد كذاب . [٧]

---

(١) انظر : عمدة التفسير (٣/ ١٧٨) .

(٢) المعجم الكبير (١٠/ ٢٤٨) .

(٣) مجمع الزوائد (٦/ ٣١٠) .

(٤) تهذيب التهذيب لابن حجر (٢/ ١٠٦) .

(٥) تفسير الطبري (٤/ ٩٧) .

(٦) مستدرك الحاكم (٢/ ٤٠٤) .

(٧) فيض القدير (٤/ ٢٩) .

المبحث الثالث :

موقف بعض المفسرين من مسائل نافع بن الأزرق وأسلوب تعاطيهم معها

تفاوت المفسرون في الاستعانة بمسائل نافع بن الأزرق لابن عباس في شرح غريب القرآن على النحو التالي :

أولاً : تفسير الطبري

من خلال استقراء تفسير الطبري يلاحظ أن ابن جرير لم يورد شيئاً من مسائل نافع بن الأزرق فيما يتعلق بغريب القرآن ، سوى مسألة واحدة لم يصرح فيها باسم الرجل الذي سأل ابن عباس ، وذلك بصدد بيان معنى المراد بقوله تعالى " وفومها " حيث ساق ابن جرير بإسناده أن عبد الله بن عباس سئل عن قوله تعالى " وفومها " [١] قال : الحنطة ، أما سمعت قول أحيحة بن الجلاح وهو يقول :

قد كنت أغنى الناس شخصاً واحداً ❁ ورد المدينة عن زراعة فوم لله [٢]

وأن الذي أورده عن نافع بن الأزرق ، هو فقط أربعة أسئلة عن نصوص قرآنية تبدو متعارضة ، فكان ابن عباس يجيبه عن كل ذلك بالقدر الذي يرتفع به هذا الإشكال.

فمثلاً سأل نافع ابن عباس عن التعارض بين قوله تعالى " يومئذ يود الذين كفروا وعصوا الرسول لو تسوى بهم الأرض ولا يكتمون الله حديثا " [١] وقوله تعالى " والله ربنا ما كنا مشركين " [٢] .

---

(١) سورة البقرة آية (٦١) .

(٢) تفسير الطبري (١/ ٣٥٢) .

فقال له ابن عباس : إني أحسبك قمت من عند أصحابك فقلت ألقي على ابن عباس متشابه القرآن ، فإذا رجعت إليهم فأخبرهم أن الله جامع الناس يوم القيامة في بقيع واحد ، فيقول المشركون إن الله لا يقبل من أحد شيئاً إلا ممن وحده ، فيقولون تعالوا نجحد فيسألهم فيقولون والله ربنا ما كنا مشركين ، قال : فيختم على أفواههم ويستنطق جوارحهم فتشهد عليهم جوارحهم أنهم كانوا مشركين فعند ذلك تمنوا لو أن الأرض سويت بهم ولا يكتمون الله حديثا . (٣)

ثانياً : تفسير الرازي

رجع الفخر الرازي في تفسيره إلى مسائل نافع بن الأزرق في ستة مواضع، خمسة منها في تفسير غريب القرآن ، والأخيرة في بيان مشكل القرآن.

إلا أنه كان يكتفي من هذه المسائل ، بمجرد ما يرفع ويكشف الغموض ، دون إيراد الشواهد الشعرية المصاحبة لذلك .

فمثلاً في معرض بيان قوله تعالى " **بقطع من الليل** " (٤)

قال الرازي : قال نافع بن الأزرق لعبد الله بن عباس رضي الله عنهما "أخبرني عن قول الله "**بقطع من الليل**" قال: هو آخر الليل سحر. (٥)

---

(١) سورة النساء آية (٤٢) .

(٢) سورة الأنعام آية (٢٣) .

(٣) تفسير الطبري (٤/ ٩٧) .

(٤) سورة هود آية (٨١) .

(٥) انظر : تفسير الرازي (١٨/ ٣٠) .

وفي بيان معنى قوله تعالى " إلى غسق الليل " [١]

قال الرازي: وسأل نافع بن الأزرق ابن عباس ما الغسق : قال دخول الليل بظلمته. [٢]

وتبين لي بعد مراجعة هذه المسألة خلال المسائل التي أوردها السيوطي في إتقانه أنها غير موجودة ، فلعلها من المسائل التي صرح السيوطي بتركها .

ثالثاً : تفسير القرطبي

عقد القرطبي في مقدمته باباً أسماه " باب ما جاء في إعراب القرآن وتعليمه " ضمنه ما ورد عن ابن عباس في تفسير غريب القرآن ، ومنها مسائل نافع بن الأزرق ، فبعد أن نقل عن ابن الأنباري أهمية الاحتجاج على غريب القرآن ومشكله باللغة والشعر . [٣]

قال القرطبي : وقال نافع بن الأزرق لابن عباس أخبرني عن قول الله عز وجل " لا تأخذه سنة ولا نوم " ما السنة ؟

قال : النعاس ؛ قال زهير بن أبي سُلمى :

لا سِنَةٌ في طوال الليل تأخذه ❁ ولا ينام ولا في أمره فَنَدُ [٤]

---

(١) سورة الإسراء آية (٧٨) .

(٢) المصدر السابق (٢١/ ٢٢) ، وبقية المواضع هي هود (٩٩) ، يوسف (٨٥) ، الفرقان (٦٥) ، المرسلات .

(٣) انظر : مقدمة الجامع لأحكام القرآن صـ (٢٣) .

(٤) الفند (بالتحريك) ضعف الرأي من الكبر مقدمة القرطبي صـ (٢٥) .

وكان القرطبي كلما جاءته مناسبة تتصل بغريب القرآن ، أورد فيها ما أثر عن ابن عباس في هذا الشأن ، لكنه لم يصرح بمسائل نافع بن الأزرق إلا في موضعين عدا ما ذكر في المقدمة .

وهذان الموضعان هما:

أ- ما ورد في بيان معنى قوله تعالى " صواع الملك " (١)

قال القرطبي : وكان للعباس واحد في الجاهلية ، وسأله نافع بن الأزرق ما الصواع ؟ قال : الإناء ؛ قال فيه الأعشى

له دَرْمَكٌ في رأسه ومشاربُ ✻✻ وقِدرٌ وَطَبَّاخٌ وصاعٌ ودَ يِسَقْ . (٢)

ب- ما ورد عنه في بيان معنى قوله تعالى " غير ممنون " (٣)

قال القرطبي : وسأل نافع بن الأزرق ابن عباس عن قوله " لهم أجر غير ممنون " فقال : غير مقطوع ، فقال : هل تعرف ذلك ؟ فقال : نعم قد عرفه أخو يُشْكُرَ حيث يقول :

فترى خَلْفَهُنَّ من سُرْعةِ الر ✻✻ جع منيناً كأنّهُ أهباءُ (٤)

ولم أعثر بعد التتبع عن هذين الموضعين ضمن المسائل التي أوردها السيوطي، وهي نتيجة تؤكد لنا أن ثمة مسائل لنافع بن الأزرق بخصوص غريب القرآن لم يوردها السيوطي خلال المائتين مسألة التي ذكرها .

---

(١) سورة يوسف آية (٧٢) .

(٢) الديسق : خوان من فضة أي إناء (تفسير القرطبي ٩/ ٢٣٠) .

(٣) سورة الانشقاق آية (٢٥) .

(٤) انظر تفسير القرطبي (٩/ ٢٨٢) .

رابعاً : تفسير الألوسي

يعد الإمام شهاب الدين الألوسي أكثر [١] المفسرين الذين رجعوا إلى مسائل نافع بن الأزرق عن ابن عباس في تفسير غريب القرآن كلما دعت المناسبة لذلك . فأكثر الألوسي من الاستشهاد بها ، والاهتمام بسردها حتى بلغت حدود الثلاثين موضعاً . [٢]

يضاف إلى ذلك أيضاً ، أنه كان يفترق عن بقية المفسرين في أنه ربما كان يتعقب بعض الشواهد الشعرية بمزيد من الشرح والبيان .

ومثال ذلك ما ورد عنه في تفسير قوله تعالى" هنَّ لباس لكم وأنتم لباس لهن" [٣]

أي هنَّ سكن لكم وأنتم سكن لهن قال ابن عباس حين سأله نافع بن الأزرق وأنشد رضي الله تعالى عنهما لما قال له هل تعرف العرب ذلك ؟

قول الذبياني :

إذا ما الضجيعُ ثنى عطفَهُ ❁ تثنت عليه فكانت لباسا

---

(١) إذا ما استثنينا الدر المنثور في التفسير بالمأثور لجلال السيوطي فقد جمع معظم هذه المسائل نظراً لأن منهجه جمع ما يمكن من الروايات والآثار والتي منها مسائل نافع بن الأزرق .

(٢) انظر : تفسيره لكل من " إلا رمزا " آل عمران (٤١) ، و " ربيون " آل عمران (١٤٦) ، و " العنت " النساء (٢٥) ، و " مقيتاً " النساء (٨٥)، و " بخارجين منها " المائدة (٣٧) ... إلخ وغيرها كثير .

(٣) سورة البقرة آية (١٨٧) .

فبعد أن انتهى الألوسي من ذلك قال معقباً : ولما كان الرجل والمرأة يتعانقان ويشتمل كلٌ منهما على صاحبه شبه كل واحد بالنظر إلى صاحبه باللباس أو لأن كل واحد منهما يستر صاحبه ويمنعه من الفجور . (١)

لكننا لا يمكن أن نعد ذلك منهجاً عاماً سار عليه الألوسي في سائر تفسيره ، وإنما هي مواضع لاتكاد تتجاوز موضعين آخرين بالإضافة إلى ما سبق .

خامساً : تفسير الشنقيطي

يأتي تفسير أضواء البيان في المرتبة التالية بعد تفسير الألوسي من حيث عدد مرات الرجوع إلى مسائل نافع بن الأزرق ، وإن كان الفرق كبيراً بينهما .

لكن الملاحظ عند الشنقيطي أنه قد يتدخل للجمع بين المعاني التي قد تبدوا متعارضة بين ما يرويه عن ابن عباس من طريق نافع بن الأزرق ، ومن غير هذه الطريق فيما يتعلق بتفسير غريب القرآن .

وهو ما يشير إلى اهتمام واضح بهذه المسائل والتفاعل مع ما قد يبدو متعارضاً معها ، وأن الأمر لا يقف عند مجرد النقل .

وأوضح مثال في ذلك في صدد بيان معنى الوسيلة من قوله تعالى " **وابتغوا إليه الوسيلة** " (٢)

---

(١) روح المعاني (١/ ٤٦١) .

(٢) سورة المائدة آية (٣٥) .

حيث قال : اعلم أن جمهور العلماء على أن المراد بالوسيلة هنا هو القربة إلى الله تعالى بامتثال أوامره ، واجتناب نواهيه .

وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما أن المراد بالوسيلة الحاجة ، ولما سأله نافع بن الأزرق هل تعرف العرب ذلك ؟

أنشد له بيت عنترة :

إن الرجال لهم إليك وسيلة ⁂ إن يأخذوك تكحلي وتخضبي

قال : يعني لهم إليك حاجة ، وعلى هذا القول الذي روي عن ابن عباس ، فالمعنى " وابتغوا إليه الوسيلة " واطلبوا حاجاتكم من الله ، لأنه وحده الذي يقدر على إعطائها . (١)

ثم قال الشنقيطي بعد ذلك ، قال مقيده عفا الله عنه : التحقيق في معنى الوسيلة هو ما ذهب إليه عامة العلماء من أنها التقرب إلى الله تعالى بالإخلاص له في العبادة، وعلى وفق ما جاء به الرسول ﷺ وتفسير ابن عباس داخل في هذا ، لأن دعاء الله والابتهال إليه في طلب الحوائج من أعظم أنواع عبادته التي هي الوسيلة إلى نيل رضاه ورحمته .

وبهذا التحقيق تعلم بطلان ما يزعمه كثير من ملاحدة أتباع الجهال المدَّعين للتصوف من أن المراد بالوسيلة في الآية الشيخ الذي يكون له واسطة بينه وبين ربه . (٢)

---

(١) أضواء البيان (٢/ ٧٦) .

(٢) المصدر السابق (٢/ ٧٦-٧٧) .

ثم إنه إذا كان البيت الذي استشهد به من مسائل نافع بن الأزرق قد نسب في موضع آخر إلى شاعر آخر نبه إلى ذلك ، وأوضحه .

ومثال ذلك ما قاله بصدد بيان " نطفة أمشاج " [١] حيث قال : وأخرج الطستي عن ابن عباس أن نافع بن الأزرق قال : أخبرني عن قوله " من نطفة أمشاج " قال : اختلاط ماء الرجل وماء المرأة إذا وقع في الرحم قال : وهل تعرف العرب ذلك ؟ قال : نعم أما سمعت أبا ذؤيب وهو يقول :

كأن الريش والفوقين منه ⁂ خلال النصل خالطه مشيج

ثم قال الشنقيطي بعد ذلك معقباً :

ونسب في اللسان هذا البيت لزهير بن حرام الهذلي ، وأنشده هكذا :

كأنَّ النصلَ والفوقين منها ⁂ خلال الريشِ سيطَ به مشيجُ [٢]

ومن خلال ما سبق يمكننا القول بأن صاحب أضواء البيان هو أول من تنبه إلى أهمية عقد المقارنة بين ما روي عن ابن عباس في تفسير غريب القرآن – فيما يسمى مسائل نافع بن الأزرق – وبين ما يخالف ذلك في الظاهر مما اشتهر عن جمهور العلماء، أو مما تختلف فيه نسبة البيت من موضعٍ وآخر.

---

(١) سورة الإنسان آية (٢) ، إلا أن حديثه كان بصدد تفسير قوله تعالى " خلق الإنسان من نطفة " النحل (٤)

(٢) أضوء البيان (٣/ ١٦٢) ، وانظر بقية المواضع التي رجع فيها الشنقيطي إلى مسائل نافع بن الأزرق ، الحجر (٣٨) ، النحل (٥٢) ، مريم (٧١) ، فصلت (١٦) .

والذي يترجح لي بعد بيان ضعف أغلب طرق مسائل نافع بن الأزرق أن المفسرين إنما أوردوها باعتبار مجموع طرقها ، لا باعتبار النظر إلى كل طريق منفردة .

أو أنهم تساهلوا في إيرادها اعتماداً على أن مضمونها ورد في صحيفة علي بن أبي طلحة عن ابن عباس ، وهي طريق تحظى بقبول لدى كافة المفسرين .

ومهما يكن السبب ، فإن رجوع المفسرين إلى هذه المسائل ، ونقلهم عنها يشير ويدلل على أن لهذه المسائل أصلاً ، وأنها ليست مجرد دسائس وضعت في تكلف وتصنع لتثبت أن ألفاظ القرآن كلها مطابقة للفصيح من لغة العرب [١] كما أنها ليست مجرد أسطورة مدرسية كما ظن آخرون . [٢]

(١) انظر : الشعر الجاهلي طه حسين صـ (٢٧) .

(٢) مذاهب التفسير الإسلامي جولد تسيهر صـ (٩٠) .

الخاتمة

فلا يسعني بعد إمتاع التفكير ، وتوسيع الأفق في رحاب مسائل نافع بن الأزرق إلا أن أسجل بعد النتائج التي قد تفتح الطريق أمام باحثين آخرين للاستفادة منها والبناء عليها .

١- أن ابن عباس أول من تنبه إلى ضرورة عقد مقارنة ، وإقامة علاقة متجذرة بين القرآن والشعر العربي بشكل موسع .

٢- أن مسائل نافع بن الأزرق من أوعب ما روي عن ابن عباس في باب غريب القرآن .

٣- أن ابن عباس كان يسعى إلى تحقيق توافق بين المفردة القرآنية ، والشعر العربي ، وإن كان البيت الذي استشهد به قد سيق في هجاء أحد الصحابة .

٤- أن هناك تطابقاً بين ما روي عن ابن عباس من طريق نافع بن الأزرق في غريب القرآن ، وبين ما أورده البخاري في صحيحه ، وعلقه عن ابن عباس ، إلا أن مسائل ابن عباس الأزرق تزيد على ما أورده البخاري بالشواهد الشعرية .

٥- أن صحيفة علي بن أبي طلحة عن ابن عباس من أصح الطرق المروية عن ابن عباس في تفسير الغريب ، وتحظى بسلامة إسنادها عند المحدثين.

٦- أن مسائل نافع بن الأزرق لا تخلو في مجملها من طرق لا تصح عند علماء الحديث .

٧- لا يقلل من قيمة الشواهد الشعرية المروية من طريق نافع بن الأزرق ما يلفها من احتمالات ، ويكتنفها من تشكيك حول صحة نسبتها إلى

ابن عباس، وبغض النظر عن صحة هذا التشكيك من عدمه ، فإنها تبقى ذات قيمة علمية ، لا يستغنى عنها في هذه الميدان .

٨- أن المفسرين لم يكونوا على درجة واحدة من حيث حجم الاستعانة بمسائل نافع بن الأزرق من حيث منهجية التعامل مع ما تضمنته من دلالات لغوية على مستوى المفردة القرآنية .

المصادر والمراجع

١- الإتقان في علوم القرآن لجلال الدين السيوطي – تحقيق: سعيد المندوه – مؤسسة الكتب الثقافية – بيروت – ط ١ – ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م .

٢- الإعجاز البياني للقرن ومسائل نافع بن الأزرق للدكتورة عائشة عبد الرحمن – دار المعارف – القاهرة – ط ٣ .

٣- تفسير الألوسي المسمى روح المعاني لشهاب الدين الألوسي – دار الكتب العلمية – بيروت – ط ١ – ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م .

٤- تفسر الرازي المسمى التفسير الكبير لفخر الدين الرازي – دار الكتب العلمية – بيروت – ط ١ – ١٤١١هـ - ١٩٩٠م .

٥- تفسير الشنقيطي المسمى أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن – محمد الأمين الشنقيطي – دار الكتب العلمية – بيروت – ط ١- ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م .

٦- تفسير الطبري المسمى جامع البيان في تأويل القرآن لمحمد بن جرير الطبري – دار الكتب العلمية – بيروت – ط ١ – ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م .

٧- تفسير القرطبي المسمى الجامع لأحكام القرآن – لمحمد بن أحمد القرطبي – دار إحياء التراث العربي – بيروت – ط ١ – ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م .

٨- تهذيب التهذيب لابن حجر العسقلاني – دار الفكر – ط ١ – ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م .

٩- خطوات التفسير البياني للقرآن الكريم – منشورات مجمع البحوث الإسلامية - القاهرة – ١٣٩١هـ .

١٠- الشعر الجاهلي – طه حسين .

١١- عمدة التفسير – الأستاذ أحمد شاكر – كتبة التراث الإسلامي – القاهرة .

١٢- غريب القرآن – رجاله ومناهجهم من ابن عباس إلى ابن حبان – د. عبد الحميد سيد طلب – وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية – الكويت .

١٣- فتح الباري شرح صحيح البخاري لابن حجر العسقلاني – دار الريان للتراث – القاهرة – ط ١ – ١٤٠٧هـ - ١٩٨٦م .

١٤- فيض القدير للشيخ عبد الرؤوف المناوي – المكتبة التجارية – مصر – ط ١- ١٣٥٦هـ .

١٥- قضايا اللغة في كتب التفسير د. الهادي الجطلاوي – الناشر كلية الآداب – سوسة – الجمهورية التونسية .

١٦- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد لعلي بن أبي بكر الهيثمي – دار الريان – القاهرة – ١٤٠٧هـ .

١٧- مذاهب التفسير الإسلامي – جولد تسيهر – ١٩٤٤م .

١٨- مستدرك الحاكم على الصحيحين لأبي عبد الله الحاكم النيسابوري – تحقيق عبد القادر عطا – دار الكتب العلمية – بيروت – ط ١- ١٤١١هـ - ١٩٩٠م .

١٩- معجم غريب القرآن – فؤاد عبد الباقي – الناشر دار الحديث – القاهرة .
٢٠- المعجم الكبير لأبي القاسم الطبراني - تحقيق : حمدي السلفي – مكتبة العلوم والحكم – الموصل – ط ٢- ١٩٨٣م .
٢١- مقدمتان في علوم القرآن – تحقيق : عبد الله إسماعيل الصاوي – الناشر مكتبة الخانجي – القاهرة .
٢٢- مقدمة الصحاح ومدارس المعجمات العربية لأحمد عطار – دار العلم للملايين – بيروت – ط ٣- ١٩٨٤م .